حوار الأديان بين بناء جسور التفاهم وحفظ الهوية*

Inter-religious Dialogue between Building Bridges of Mutual Understanding and Preservation of Identity

أنيس مالك طه **

Abstract

Inter-religious dialogue has been among the crucial issues since the early 20th century. Seminars and conferences on this issue have been conducted with the special agenda to embark on serious ways for building mutual understanding between the followers of different religions. Now, inter-religious dialogue has become more important as religion has been charged of being the agent behind the bloody wars, genocide, and every human catastrophe, such as the tragedy of 9/11. Therefore, this article is an attempt to analyse the issues pertaining to the concepts, principles, objectives, approaches and organization of inter-religious dialogue in the light of the increasing global phenomenon of utilizing this means to promote certain vested interests, to dilute cultural identities of certain peoples, and to win the "war of ideas". The main argument in this essay is that for any interreligious dialogue to achieve its noble objectives mentioned above, it is necessary that it be established on sound and non-partisan principles and guidelines.

Key terms: inter-religious dialogue, mutual understanding, war of ideas, representation, conversion

مستخلص البحث

من القضايا البالغة الأهمية والخطورة منذ أوائل القرن العشرين قضية الحوار بين

---

* أسجل جزيل شكري وفائق تقديري لمركز إدارة البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا الذي تكرم بتمويل مشروع هذا البحث، كما أشكر زميلي الفاضلين الأخ الدكتور عبد الحكيم فرحات والأخ عبد الرحمن الحاج اللذين تفضلا بقراءة مخطوط هذا البحث وإبداء جملة من الملاحظات المفيدة، راجيًا من المولى عز وجل أن يثيبهما أحسن المثوبة.

** أستاذ مساعد في قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ومدير وحدة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر (IIUM Press). البريد الإلكتروني: anism@iium.edu.my

الأديان. فقد انعقد العديد من الندوات والمؤتمرات حول هذه المسألة بغية الوصول إلى سبل جادة لبناء التفاهم المشترك بين أتباع الأديان. وازدادت أهمية الحوار بين الأديان حينما اتهم الدين بأنه كان وراء الحروب الدامية والتصفية الجنسية وكل الحوادث المأساوية، كأحداث 11 سبتمبر 2001م. ولذلك فهذا المقال محاولة لتسليط الضوء على ما جرى – و لم يزل يجري – تنفيذه في واقع الحوار بين الأديان اليوم من القضايا المهمة ذات الصلة بإشكاليات رئيسة خطيرة تتعلق بالمبادئ والأهداف والمنهج والتنظيم. وهي تلك القضايا التي تبشِّر، عند التحقيق الدقيق والتحليل العميق الشامل، بظهور ظاهرة غريبة في ساحة العلاقات بين الأديان، بحيث لا يعدو هذا الحوار في نهاية المطاف كونه وسيلة لخدمة مصالح جهات معينة ولتمييع الهويات الثقافية في معترك حرب يقال لها "حرب الأفكار" (War of Ideas)، بعيدًا عن رسالته المختلفة، وهي بناء التفاهم وتوثيق أواصر المحبة بين أتباع الأديان المختلفة. ومن هنا يتحتم علينا أن نقوم بتحليل هذه الظاهرة مع السعي لتقديم حل بديل نراه مناسبًا لتصحيح مفهوم ومسار الحوار الذي يضمن تحقيق رسالته النبيلة المذكورة مع بقاء هوية الإنسان المحترمة في الوقت نفسه.

الكلمات الأساسية: الحوار بين الأديان، التفاهم، حرب الأفكار، الممثلية، التحويل.

مقدمة: ظاهرة قديمة ووعي جديد

من المعلوم ضرورة في المنظور الإسلامي أن ظاهرة الاختلاف والتنوُّع والتعـــدُّد والتباين قد كانت ولا تزال إحدى سمات هذا الكون الذي نعيش فيه. وهذا في حـــدّ ذاته من مقتضيات مفهوم التوحيد الذي جاء به ودعا إليه الأنبياء والرسل جميعًا مـــن لدن آدم إلى محمد عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم. ذلك المفهـــوم الـــذي يقتضي أن الفردانية والوحدانية من أخصّ خصائص الله ﷻ، بحيث لا يشاركه فيهـــا أحد سواه بحال من الأحوال، وأن التنوع والتعدد من سمات الكون والمخلوقات كلها. وقد أكدت ذلك الشواهدُ التاريخية والآثارية، فضلاً عما تواتر تقريره من عدد كـــبير من آي القرآن الكريم، خاصةً في شأن المجتمعات البشرية وعقائدها وعلاقاتها ونظـــم حياتها المختلفة على مر الأزمان والعصور. فالتنوع والتعدد في المجتمعات البشرية، إذن،

ليس مما انفرد به العصر الحديث، ولا هو ظاهرة جديدة كما يظنه البعض، كما ليس اكتشافاً جديداً أسفرت عنه عبقرية العقل الحديث، وإنما هو ظاهرة عامة قديمة قِـدَم المجتمع البشري ذاته. فهو سنة من سنن الله تعالى في البشر والخلق كله.[1]

بيد أن هذه الظاهرة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار قد لا يعي وجودها ولا يلمس آثارها أناس أصابهم العمى في أبصارهم وبصائرهم، إما بسبب الجهل وإما بسبب استحكام روح الاستعلاء والعداوة والازدراء التي تسيطر عليهم في نظرهم إلى الآخر والتي أدت بهم إلى استعباد معظم سكان العالم واستباحة دمائهم وانتهاك حرماتهم وأعراضهم وامتهان كرامتهم وحقوقهم الإنسانية واحتلال أراضيهم وامتصاص خيراتها وثرواتها بصورة بشعة لا إنسانية لمدة دامت نحو خمسة قرون أو أدنى. فلما أعيتهم المقاومات المسلحة العنيفة والمعارضات السياسية الشديدة طلباً للاستقلال من قِبَل الشعوب المستعبدة المظلومة، وفي الوقت نفسه كانت خريطة السياسة الدولية قد آلت بسبب ذلك إلى تطور جديد حيث تم تأسيس منظمة هيئة الأمم المتحدة (United Nations Organization) عام 1945م ثم بعده بثلاث سنوات، أي عام 1948م، حيث تم كذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (Universal Declaration of Human Rights)، حينئذ بدأ الوعي لوجود الآخر وإنسانيته وحقوقه الإنسانية يشرب إلى عقولهم وبصائرهم. فهذا الوعي الجديد المفاجئ قد دفعهم إلى اللجوء إلى استخدام سياسة أو استراتيجية أكثر براعة ولباقة في التعامل مع هاته الشعوب المستعبدة. تلكم السياسة أو الاستراتيجية التي تضمن بقاء مصالحهم السياسية والاقتصادية والثقافية، إن لم نقل: الامبرالية الجديدة (Neo-Imperialism)، محفوظًا إلى أقصى مدى ممكن، والتي في الوقت نفسه تُمكِّنهم من الحفاظ على ماء وجههم أمام هؤلاء الشعوب، بل وكسب ثقتهم بهم وموالاتهم لهم دائما أبدا.

---

[1] انظر الآيات القرآنية الآتية: سورة الروم: 22؛ سورة يس: 36؛ سورة فاطر: 28؛ سورة الحجرات: 13. لمزيد من التفاصيل راجع: طه، أنيس مالك، **التعددية الدينية: رؤية إسلامية** (كوالا لمبور: مركز البحوث للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2005)، ص262 -295.

وهكذا ظهر "الوعي الجديد" في الساحة و لم يزل مصحوبًا ومشوباً، أو بالأحرى مشبوهًا، بنوايا وأهداف قديمة للسيطرة. وإن ما جرى – ويجري – في أرض الواقع اليوم من أحداث لخير شاهد بذلك.

الحوار للتفاهم؟

في أجواء هذا "الوعي الجديد" أصبحت الأنظار تتجه صوب "الحوار" (dialogue) طمعًا من دعاته المتسترين وراء بريقه أن يحقق لهم ما هو مكشوف ومحجوب من مآربهم القديمة، لاسيما وأن هذا الأمر في نظر كثير من الناس قد أضحى يشكل في عالم اليوم ضرورة من ضرورات العصر للتغلب على العديد من المشكلات الحياتية على جميع المستويات. فإذا كان هذا الأمر ملحًّا في الأمور غير الدينية، فإنه عندهم أكثر إلحاحًا في العلاقات بين الأديان، لما للدين من أثر لا يمكن تجاهله في حياة الناس أفرادًا وجماعات، ولما له – فوق كل ذلك – من أثر كبير وفعّال في بناء الوعي الذاتي لدى المجتمعات البشرية قديماً وحديثا. فالدين أو ما يقوم مقام الدين (أو ما سماه المتخصصون في مجال علم اللاهوت ودراسة الأديان المقارنة بـ"شِبه الدين" (quasi-religion) أو (semi-religion) من الأيديولوجيات الحديثة مثل: الإنسانية (Humanism)، والعلمانية (Secularism)، والوطنية القومية (Nationalism)، والشيوعية (Communism)، والماركسية (Marxism)، وما إلى ذلك،[1] هو في الحقيقة المكوِّن والمقوِّم الأساسي للحضارة الإنسانية وذاتيتها. وذلك باعتبار أنه هو الوحيد الذي يوفِّر لها ويُمدّها بالقيم والمثل التي بها تحقق وجودها وصيرورتها وقوتها وشرعيتها وديمومتها في التاريخ والتي بانعدامها يختل ذلك كله إن

[1] انظر على سبيل المثال:

Paul Tillich, *Systematic Theology* (London: Nisbet and Company, 1953); and his *Christianity and the Encounter of the World Religions* (New York and London: Columbia University Press, 1963); Ninian Smart, *Dimensions of the Sacred: An Anatomy of the World's Beliefs* (London: Harper Collins, 1996); also John E. Smith, *Quasi-Religions: Humanism, Marxism and Nationalism*. (London: The Macmillan Press, 1994).

لم ينعدم.[1] ومع هذا الدور المحوري للدين في حياة المجتمع البشري، فإنه كثيراً ما يجد نفسه في بؤرة الاتهام بأنه سببٌ في حدوث الصراع والقتال والإبادة بين الجماعات البشرية، وأنه هو المسؤول الأول عن وقوع تلك المآسي الإنسانية.

فلا يستغرب، إذن، أن يدير الناس أنظارهم إلى الحوار بين الأديان معلقين عليه آمالهم الكبيرة في الوصول إلى حل ناجع يضع حدًّا لتلك المآسي. وقد عبر عن هذا الإدراك عالم اللاهوت الكاثوليكي الألماني المعروف هانز كونغ (Hans Küng) مُعْرباً عن هذا المعنى والوعي العام: "لن يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان. ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان" [2].

ومع تقديرنا البالغ لهذا الوعي العام، فإن السؤال الأساسي الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو: هل الأديان هي المشكلة الأساسية بالفعل؟ ثم: هل هذه المشكلة حدثت بسبب غياب الحوار فيما بينها؟ هل الحوار فعلاً هو الحل؟

إن كل مَنْ له أدنى مسكة من العقل السوي ليس بوسعه أن ينكر أهمية الحوار وضرورته في الحياة. بل الحوار قد جرى –ولم يزل يجري – في حياة الإنسان اليومية سواء كانوا يشعرون بذلك أم لا، وسواء أرادوه أو لا، وقد اتخذ ذلك صوراً وأشكالاً متعددة مباشرة وغير مباشرة في إطار علاقات التواصل والتثاقف بين الشعوب من أتباع الأديان والعقائد المختلفة. وعليه فليست المشكلة في اعتقادنا هي غياب تحاور بين الأديان، وإنما المشكلة الحقيقية تكمن في تلك الظاهرة الجديدة المتمثلة في الداء

---

[1] لقد أصاب هانتنغتون في تحليله الدقيق المثير للجدل الحاد في الأوساط الأكاديمية والسياسية حول القضية في كتابه الأكثر ذيوعًا عن صراع الحضارات حيث قرر أن الدين هو جوهر وأساس أية حضارة. انظر التفاصيل في:

Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: A Touchstone Book, [1996] 1997).

[2] "No peace among nations without peace among the religions. No peace among the religions without dialogue among the religions." Hans Küng, *et al.*, *Christianity and World Religions: Path to Dialogue with Islam, Hinduism, and Buddhism*, translated into English by Peter Heinegg (New York: Orbit Books, [1985] 1996), p. xiii; Cf. "No World Peace without Religious Peace," p. 440.

السافر للأديان، هذه الظاهرة ما فتئت تزداد حدة منذ هيمنت الإيديولوجيا العلمانية القائلة بضرورة فصل الدين عن الدولة والشؤون العامة للمجتمع معلنة أن الدين "أوفيون الشعوب" ومبشرةً بـ "موت الإله" (the death of God)، وقد عبرت هذه الموجة العدائية للدين عن نفسها من خلال جهود مكثفة ومحاولات منظمة مكثفة عبر التقارير السياسية الدولية والندوات والمؤتمرات والكتب والصحف والمجلات وسائر وسائل الإعلام المتنوعة، وهي في كل ذلك تصب مصب واحد، ألا وهو رسم صورة قبيحة ومنفرة للأديان بوصفها مصدر كل الشرور في العالم.

ولعل من أبرز ما يمثل ذلك ما كتبه شارلز كيمبل (Charles Kimball) في كتابه الذي صدر في عام 2002 بعنوان مثير غاية الإثارة: *When Religion Becomes Evil: Five Warning Signs* (عندما يكون الدين خبيثاً أو شريرًا: خمس علامات خطر)، ثم الكتاب الآخر الذي ظهر في عام 2003 بعنوان أشد لهجة وهو: *Is Religion Killing Us?: Violence in the Bible and the Qur'an* (هل الدين يقتلنا؟: العنف في الكتاب المقدس والقرآن) لمؤلف يدعى Jack Nelson-Pallmeyer. وهناك كتاب آخر يحمل عنوانًا لا يقل إثارةً عن الكتابين السابقين، وهو: The God Delusion (وهم الإله)، من تأليف داعية الإلحاد البريطاني Richard Dawkins ونشر في عام 2006.

أما الكتاب الأول فقد خصّص المؤلف فصوله كلها لتفصيل القول في السمات الأساسية الخمس التي يمكن بها التحقق والتأكد من أن دينًا ما خبيث أو شرير لا محالة، لأولى "الدعوى بالأحقية المطلقة" (absolute truth claims)، والثانية "الطاعة العمياء" (blind obedience)، والثالثة "تكوين العصر 'المثالي'" (الذي يدرّ عسلاً ولبنًا) (establishing the "ideal" time)، والرابعة "الغاية تبرر الوسيلة" (the end justifies any means)، والخامسة "إعلان الحرب المقدسة" (declaring Holy war).[1] وأما الكتاب

[1] انظر التفاصيل:

Charles Kimball, *When Religion Becomes Evil: Five Warning Signs* (New York: HarperSanFrancisco, 2002).

الثاني فقد اجتهد مؤلفه في إثارة الشبهات والتشكيك حول الكتاب المقدس والقرآن الكريم (وسائر الكتب الدينية الأخرى تبعًا لذلك)، منوِّها في الخلاصة بضرورة اتخاذ موقف "الشكّ" (Doubt) منهما ومن نصوصهما ومن أي كتاب مقدس آخر، على اعتبار أن ذلك هو الطريق الوحيد للوصول إلى حل ناجع لمشكلات العنف والتطرّف المصطبغ أكثرها بالصبغة الدينية والتي أخذت تزداد كيفًا وكمًّا في مستهلِّ القرن الحادي والعشرين، فذلك – في رأيه – السبيل الأوحد لإنقاذ البشر جميعًا ونجاتهم وفلاحهم.[1]

فالذي يطالع هذين الكتابين وهو خالي الذهن يجد نفسه حتما أسيراً للحيرة والارتباك والشك تجاه دينه والأديان كلها إن كان متديِّناً، أو يجد نفسه أشدّ نفورًا منها وكرهًا وبغضًا وعداء لها إن كان غيرَ متديِّن. غير أن الذي ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان البتة هو أن ذلك كله لا يعني بالضرورة الخروج على الأديان جميعها كليًّا حقيقة بحيث يصبح المرء في حالة "تحرر ديني " (religious detachment) أو في حالة "اللادينية" أو ما سماه الفيلسوف وعالم اللاهوت المسيحي المشهور بول تيليخ (Paul Tillich) بـ"اللامبالاة الدينية" (religious indifference). وذلك لأن هذه الحالة عند التحقيق والتحليل الدقيق لا تدوم إلا مدةً يسيرةً جدًّا، فهي في الحقيقة ما هي إلا "مرحلة انتقالية" لا تدوم أكثر من لحظة فقدان دين من الأديان التقليدية معناه وثقة الإنسان به حيث ما زال البديل لم يظهر بعدُ. وفي ذلك يقول تيليخ: "في أعماق تفكير العقل العلماني، وفي تركيبه كذلك، هناك عناصر دينية برزت في السطح حينما فقدت الأديان التقليدية قوتها. وهذه العناصر هي مثل الرغبة في التحرر من القيود الملزمة، وحب العدالة، والأمانة العلمية، والسعي لتحقيق الإنسانية الأكثر تقدمًا، والأمل في تحقيق تحول

---

[1] انظر التفاصيل في:

Jack Nelson-Pallmeyer, *Is Religion Killing Us?: Violence in the Bible and the Qur'an* (New York, London: Continuum, [2003] Paperback edition 2005); and see especially chapter 7 "Room for Doubt" (مساحة للشك) (pp. 95-109), and the last chapter, i.e. 9, "Saved by Doubt" (مُنقَذ بالشك) (pp. 129-149)

المجتمع وتقدمه في اتجاه إيجابي. فعن هذه العناصر، التي تشير صوب التقاليد القديمة، ظهرت المناهج شبه الدينية الجديدة آتيةً بالأجوبة الجديدة للسؤال عن معنى الحياة".[1]

إن القول بتسابق دين معين مع دين آخر وتنازعهما وتعاقبهما وتلاحقهما في تركيب عقل الإنسان ووعيه الديني قد أكده كثير من العلماء المحققين. فهذا ونستون ل. كينغ (Winston L. King)، في مقالته بعنوان "Religion" (الدين) يقول: "ويبدو أنه بمجرد اختفاء دين من الأديان من الوجود يظهر آخر ليقوم مقامه".[2] وهكذا، فـ"اللامبالاة الدينية" أو "الانسلاخ الديني" إنما هي في الواقع حالة دينية تطرأ على الإنسان عن غير وعي عندما يترك دينه عن اقتناع أو شِبْهه بعدم قدرة ذلك الدين على تقديم إجابات عن الأسئلة الأساسية عن معنى الحياة بشكل عام، فيظن أن نفسه في هذه الوهلة قد انسلخت عن الدين تمامًا، وليس الأمر في حقيقته كذلك. وهذا الانخلاع من دين سابق لا يأتي من فراغ أصلاً، وإنما يسبقه أو يقارنه تصوّر عقدي إيماني آخر جديد يزاحم التصوّر العقدي الأصلي. وذلك التصوّر الجديد إنما يأتي للإنسان إما من دين من الأديان الموجودة غير دينه الأصلي، وإما من أيديولوجية من الأيديولوجيات الحديثة. وعلى كلا الاحتمالين، يظل ذلك التصوّر تصوّرًا دينيًّا صميماً وإن كان في بعض صُوَره، يعني الاحتمال الثاني، ما يبدو في الظاهر أنه خالٍ من (أو معادٍ لـ) فكرة الإله التي كانت تمثل مقوِّمًا أساسيًّا للدين. أقول إن ذلك التصوّر يظل تصوّرًا دينيًّا صميماً لابتنائه أساسًا على المقررات والفرضيات والأسئلة الدينية الأصيلة. هذا بالإضافة إلى أن

[1] "[I]n the depth of technical creativity, as well as in the structure of the secular mind, there are religious elements which have come to the fore when the traditional religions have lost their power. Such elements are the desire for liberation from authoritarian bondage, passion for justice, scientific honesty, striving for a more fully developed humanity, and hope in a progressive transformation of society in a positive direction. Out of these elements which point back to older traditions the new quasi-religious systems have arisen and given new answers to the question of the meaning of life". Paul Tillich, *Christianity and the Encounter of the World Religions*, p. 9. (emphasis added)

[2] "Yet it also seems that as soon as one form of religion disappears, another rises to take its place." Winston L. King, 'Religion', in Mircea Eliade, (ed.), *The Encyclopedia of Religion* (New York: Macmillan Publishing Company, 1987), vol. 12, p. 292

كل تقرير عن قضية دينية هو تقرير ديني بطبيعة الحال، سواء ورد فيه ذكر لفظ الدين صراحةً أم ضمنًا، وحتى إن لم يرد أصلاً، وسواء ذُكرت فيه فكرة الإله صراحة أم ضمنا بل حتى وإن لم تُذكر أصلاً، لاسيما وأن حقيقة مفهوم الدين وفكرة الإله على حدٍّ تعبير تيليخ باختصار هي " الهمُّ الأقصى" (The ultimate concern)، ففي ذلك يقول: "الدين هو حالة يسيطر عليها همٌّ أقصى، الهمُّ الذي يحدد صلاحية الهموم الأخرى بوصفه منطلقًا أوّليًّا، والذي في حد ذاته يحمل في طياته الإجابة للسؤال عن معنى حياتنا".[1]

وفي الحقيقة، إن هذا "الهمُّ الأقصى" بوصفه في أساس الدين ما قد تعرّض القرآن الكريم لبيانه والتعرُّف على طبيعته في معرض التحذير من سيطرة الهوى على نفس الإنسان فيتخذه إلهاً له، كما جاء في قوله تعالى ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الفرقان: 43)، وقوله جل ذكره: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية: 23). فمفهوم الإله حسب ما يمكن أن يستنبط من هاتين الآيتين هو "مطلق المعبود والمألوه" بما في ذلك "الهوى". فكان القرآن الكريم بذلك قد وسّع من مفهوم الإله، وبالتالي الدين، بما يمكن أن يشمل ويعمّ جميع المعبودات أو "الهموم القصوى"، وبالتالي جميع الأديان كلها على اختلاف أصنافها وأنواعها – الأديان "التقليدية" (religions proper) أو الأديان المعترفة بإله (theistic religions)، وغير المعترفة بإله (non-theistic religions) أو الأديان بدون إله (religions without god)[2] أو "شبه الأديان" (quasi-religions أو semi-religions) وديانة العصر الجديد (new age) وغير ذلك.

---

[1] "Religion is the state of being grasped by an *ultimate concern*, a concern which qualifies all other concerns as preliminary and which itself contains the answer to the question of the meaning of our life". Paul Tillich, *op. cit*., p. 3. (emphasis added)

[2] بعض الباحثين والكتاب صنفوا الأديان من حيث وجود فكرة الإله تحت الصنفين الأساسيين وهما: الأديان المعترفة بإله (*theistic religions*)، وغير المعترفة بإله (*non-theistic religions*) أو الأديان بدون إله (*religions without god*). فأدرجوا البوذية وأديان الصين الطاوية والكونفوشيوسية والإلحادية والشيوعية والفاشية وغيرها تحت صنف الأديان غير المعترفة بإله أو الأديان بدون إله [انظر مثلا: Ray Billington, *Religion without God*, (London, New York: Routledge, 2002)]. غير أن هذا التصنيف يبدو أنه غير وجيه؛ لأن حقيقة الأمر، كما ثبت في تحليلنا فلم يخل دين من الأديان عن فكرة الإله أصلا.

ومن هذا التحليل الموجز يتبين أن الإنسان لا يمكن أن يعيش لحظة واحدة من حياته بدون الاعتماد على دين معين (القناعة الدينية) أو الوقوع تحت سيطرته وسطوته سواء كان يدرك ذلك أم لا.

الحوار في سياق حرب الأفكار (War of Ideas)

إن التحليل السابق ينقلنا إلى واقع الحوار الذي يتم التخطيط له وترويجه وتفعيله في الساحة العالمية اليوم. فعندما ننظر إلى تاريخ الحوار الفعلي الرسمي (أو الصوري) بين الأديان في العصر الحديث نجد أنه لم يبدأ التخطيط والتنفيذ له إلا في أوائل القرن العشرين الماضي بمبادرة من الكنائس المسيحية، سواء كانت الكاثوليكية أو البروتستانتية (مجلس الكنائس العالمي – WCC). وكان مشروع الحوار في بداية أمره قد تم تصميمه ضِمنَ المخططات التبشيرية المسيحية، ثم تم تأكيد هذه الأهداف التبشيرية للحوار واعتمادها بشكل رسمي في مجمع الفاتيكان الثاني 1962-1965.[1]

غير أن الملاحظ بشكل واضح من تفعيل هذا الأمر، خاصة من خلال عمليات الحوار وتجاربه المتكررة والمتنوعة مع المسلمين، أن هذه التجارب قد أوحت إلى الكنيسة ضرورة اتخاذ استراتيجيات لضمان لنجاح هذا المشروع. ومن بين هذه الاستراتيجيات تركيز موضوع الحوار على قضايا الأخلاق، فيعرف في أدبيات الحوار فيما بعدُ بـ"الأخلاق الكونية" (Global Ethics)، وقضايا الفقر والتخلف المادي والثقافي، أو ما يعرف إجمالاً بـ"القضايا الإنسانية"، منفصلة تمام الانفصال عن الدين والعقيدة الدينية، وكأنها هذه القضايا، وقضية الأخلاق خاصة، يمكن أن تستغني عن الدين أو تجد لها قاعدة تقوم عليها من دونه. وبعبارة أخرى، إن الكنيسة بذلك قد أخذت بيدها دور ترويج ونشر الثقافة

---

[1] انظر تحليلاً دقيقاً وداراسة مستوعبة لوثائق مجمع الفاتيكان الثاني، وخاصة فيما يتعلق بالإسلام ومشروع التنصير والتبشير، في: زينب عبد العزيز، **الفاتيكان والإسلام** (القاهرة: القدس للنشر والإعلان، ط3، 2001م)؛ وكذلك كتابها **تنصير العالم، مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني** (المنصورة/مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ /1995م).

اللادينية والعلمانية (أو الْهُنا–آنية) في العالم أجمع، بل لم تقف عند هذا الحد، وإنما أضفت على ذلك تسويغاً دينيًّا لاهوتيًّا، مما أدى إلى ظهور هذه الثقافة وسيادتها بصورة أقوى وآكد. ومن هنا، فليس بمستغرب أن قد واجه الحوار بين الأديان مقاومة من هنا وتحفظاً من هناك. فبالنسبة للمسلمين لم يكن سهلاً أن يضربوا صفحًا عن الماضي المثقل بمشاعر الريبة والعداء وأن يُحِلُّوا الثقة محل الشك بنوايا الكنائس حيالهم، سيما وأن هناك ما يدل صراحة على أن مبادراتها وممارساتها الحوارية ليست إلا خدمة مصالحها التبشيرية التنصيرية وسعياً لتحقيق مصالح القوى الإيديولوجية والسياسية العلمانية التي تسندها في الدول العربية.

إذن، فالحوار بين الأديان في العصر الحديث عمومًا — باستثناء القليل النادر — كان منذ البداية لصالح مشروع العلمانية. ولم تزل هذه الاستراتيجية العلمانية سارية المفعول في المنتديات والمؤتمرات والندوات التي تعقد تحت شعار الحوار حتى الآن على تباين مستوياتها لعالمية والإقليمية والوطنية والمحلية، وعلى مختلف الجهات المنظِّمة لها، حكومية كانت أم غير حكومية، دينية كانت أم لادينية. خاصة وأن هذه الندوات والمؤتمرات يتم تنظيمها بشكل خاص بحيث إن المدعوين المشاركين فيها قد تم اختيارهم وفق شروط ومواصفات خاصة لا تنطبق إلا على الذين تدربوا وتربوا وتثقفوا بتربية وثقافة علمانية لادينية، وهم أولئك الذين تخرج معظمهم في الجامعات الغربية أو الجامعات والمؤسسات التعليمية المحلية التي تبنَّت نظام التعليم العلماني. فهؤلاء على حد قول الفاروقي رحمه الله، قد كان من المتوقع تعاونهم مع الجهة المنظمة للحوار أو بالأحرى "استسلامهم" لها.[1]

والسؤال االذي لا بد من إثارته في ضوء ذلك: هل بذلك الوضع يصح أن يمثل هؤلاء جماعتهم الدينية منطقيًّا وشرعيًّا؟ ولكن يبدو أن قضية التمثيل لأطراف الحوار، وما إذا كانت منطقية وشرعية أم لا، ليست قضية مهمة قطُّ في منطق "حرب الأفكار" و"قانون التغيير". المهم أن ينفذ المخطط أو يتحقق الغرض الأساسي، وهو انتشار الأيديولوجية

[1] al-Fārūqī, Ismā'īl R., (ed.), *Trialogue of the Abrahamic Faiths*, (Herndon: IIIT, 1991), p. x.

العلمانية اللادينية. بل إن التجربة الفعلية المشاهدة في حياتنا اليومية تُعلِّمنا درسًا مهمًّا، وهو أن الأمر المعضل المعوج المخالف لما تعارف عليه الناس ونفر منه طبائعهم، إذا تكرر عرضه وترويجه أمام أعينهم وعلى مسامعهم باستمرار ولمدة طويلة، فإنه ينقلب تدريجيًّا فيصير مقبولاً ومألوفًا بحكم طول الإلف. وكذا الأمر بالنسبة لقضية التمثيل لأطراف الحوار بين الأديان وما يراد تحقيقه بواسطته من أهداف. ومن هنا كان من المتوقع والمنتظر أن تنتشر هذه الثقافة العلمانية "شبه الدينية" انتشارًا هائلاً، بحيث تصبح هي القوة المزاحِمة والمنافِسة للأديان التقليدية. بل إنها صارت بالفعل تهدد كيان الأديان التقليدية بالخطر والزوال.

ويجدر بنا في هذا السياق أن نذكر أطروحة بول تيليخ (Paul Tillich) التي قدمها في أوائل الستينيات من القرن الماضي في وصف واقع الحوار بين الأديان، وهي أن السمة المميزة لواقع الحوار والمواجهة بين الأديان هي هجوم "شبه الأديان" على الأديان التقليدية، المعترفة بإله وغير المعترفة بإله.[1] ويؤكد هذا بصورة أكثر تفصيلاً قائلاً: "في [محاولة] رسم أو تصوير خريطة لمواجهات الأديان في كل أنحاء العالم، نحن نؤكد الحقيقة بأن أشد المواجهات سافرةً وملحوظةً هي مواجهات "شبه الأديان" – من الفاشية، والشيوعية، والإنسانية الليبرالية – مع الأديان البدائية والمتقدمة [يعني التقليدية، مثل المسيحية والإسلام والهندوسية وغيرها] على السواء"[2].

لقد انتقل الحوار من معتركه الأول، يعني الحوار بين الأديان التقليدية بين بعضها البعض، إلى معترك جديد أشد تعقيدًا وحِدَّةً وعنفًا هو حوار تلك الأديان مع شبه الأديان. طبعًا، هذا لا يعني أن المعترك الأول لم يعُد له أهمية في الحوار، بل إن المعترك

---

[1] فيقول بول تليخ في ذلك:

"The dramatic character of the present encounter of the world religions is produced by *the attack of the quasi-religions on the religions proper, both theistic and non-theistic*", Paul Tillich, *op. cit*., p. 8. (Emphasis added).

[2] "In drawing a map of their [religions'] encounters all over the world we emphasized the fact that the most conspicuous encounters are those of the quasi-religions -Fascism, Communism, liberal humanism- with the primitive as well as the high religions". Paul Tillich, *op. cit*., p. 49

الجديد في الحقيقة لم يزل يتسمى باسم الأول ويرتدي رداءه وحلته – ولن يتوقع نجاحه بغير هذا الاسم والرداء – ولكن بمضمون وبرامج وخطة عمل جديدة يصمّمها ويديرها ويتعهدها أناس متخصصون بدعم مالي وسياسي، لا يكاد يتناهى، من قوى عالمية كبرى.

ففي البداية، تم تفعيل هذه الاستراتيجية الجديدة بشكل غير مكشوف، ولم يزل الأمر كذلك حتى انفجرت حادثة مأساوية غامضة مشبوهة للغاية في 11 سبتمبر 2001 اشتهرت فيما بعد بحادثة 11/9[1]. فحينذ بدأت الاستراتيجية الجديدة تجري مُعلنة مكشوفة تحت عنوان عام: "الحرب على الإرهاب" (War on Terrorism) بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لتقوم مقام "الحرب الباردة" التي انتهت بسقوط جدار برلين وتحلل الاتحاد السوفييتي. وبما أن هذا النوع من الحرب لا طائل ولا حدود له واضحة سوى الطرف المستهدف والمحارب، وهو الإسلام والمسلمين، فإنما يمكن تحقيق الانتصار الباهر فيها عن طريق كسب "حرب الأفكار" (War of Ideas).

وفي السياق الأمريكي، تم تصميم هذه الاستراتيجية الجديدة وطرحها واعتمادها باسم The Muslim World Outreach Strategy (استراتيجية الوصول إلى العالم الإسلامي) في يوليو 2003، حسب ما أفاد به تقرير صحفي موثوق به كتبه كاتب بارع David E. Kaplan، بعنوان *Hearts, Minds, and Dollars* (قلوب، وعقول، ودولارات)، وصدر في موقع أخبار أمريكا على الشبكة العنكبوتية (www.usnews.com) في عددها بتاريخ 25 أبريل 2005.[2] وهذه الإستراتيجية إنما هي في الحقيقة عبارة عن إعادة صياغة الصفحات – مع شيء من التعديل هنا وهناك

---

[1] لم تزل حادثة 2001/11/9 غامضة مشبوهة للغاية، ولم تكتشف قانونيا حتى الآن حقيقة هذه الحادثة الممقوتة ومن كان وراءها، الأمر الذي أدى إلى إثارة تساؤلات واتهامات لا طائل لها حولها. وهل هذا الوضع هو المقصود بذاته؟

[2] انظر هذا التقرير بكامله في:

David E. Kaplan, "Hearts, Minds, and Dollars: In an Unseen Front in the War on Terrorism, America is Spending Millions...To Change the Very Face of Islam", in www.usnews.com, 25 April 2005.

طبعاً – لملفات حرب أمريكا الباردة ضد الاتحاد السوفييتي طوال ثلاثة عقود قبيل نهاية القرن العشرين. ومن هنا دخل الحوار بين الأديان طوره الجديد ليؤدي دوره الفعّال، جنبًا إلى جنب مع الوسائل الأخرى المتاحة، في كسب حرب الأفكار.

وحينما تبينت الغاية واضحة هانت لها الوسائل والطرق. فلم تبخل الولايات المتحدة (وحلفاؤها)، حسب ما جاء في ذلك التقرير، بإنفاق البلايين من الدولار وصرفها من أجل الانتصار على العقول والقلوب، وذلك عن طريق تمويل حلفائها، أو بالأحرى عملائها، من رجال السياسة والمفكرين المنتسبين إلى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية المحلية والدولية، وخاصة الفرقاء منها المنتسبون إلى الإسلام، أو ما يدعونه ويزخرفونه كثيرًا بـ"الإسلام الوسط" (Moderate Islam)، والتي تركز نشاطها الأساسي على تعزيز ما يسمى بـ "الأفكار الإسلامية الليبرالية" وترويجها. وهي تلك الأفكار التي تحاول جاهدة أن تبرر الأيديولوجية والمُثل الديموقراطية، من المساواة والتعددية والليبرالية والعلمانية وحقوق المرأة وحقوق الإنسان، تبريرًا لاهوتيًّا إسلاميًّا بدون أدنى تحفظ، بل هي مستعدة لارتكاب أي تحريف أو إساءة تأويل في سبيل ذلك. فقد أدلى ذلك التقرير أن البيت الأبيض قد وافق على زيادة ميزانيته المخصصة للدبلوماسية الشعبية (public diplomacy) تحت وزارة الشؤون الخارجية بنسبة 40% منذ حادثة 11/9. هذا بالإضافة إلى ازدياد مصروفات وكالة الولايات المتحدة للتنمية العالمية (U.S. Agency for International Development - USAID) إثر تلك الحادثة إلى ما يقرب ثلاثة أضعافها، حيث بلغت أكثر من 21 بليون دولار في ثلاث سنوات فقط.

والذي يثير الاستغراب أكثر أن أكثر من نصف هذا المبلغ تم صرفه في العالم الإسلامي لتمويل مشروع "الأفكار الإسلامية الليبرالية" وتطويرها وترويجها ونشرها إلى أقصى حدود. تقول زينو باران (Zeyno Baran) المتخصصة في تحليل قضايا الإرهاب في مركز نيكسن ومستشارة الاستراتيجية في هذا السياق: "فلتوفروا النقود والجو السياسي

[المناسب] لهؤلاء المسلمين الوسطيين لينظموا أعمالهم وينشروها ويذيعوها ويترجموها".[1]

وكذلك يقول تقرير كابلن (Kaplan) في هذا الصدد: إن الذي يثير الذهول أن المبلغ الأكبر لحرب أمريكا للأفكار لا يأتي من وكالة المخابرات المركزية، ولا من وزارة الخارجية، وإنما من الوكالة الهادئة للولايات المتحدة للتنمية العالمية. فكانت هذه الوكالة الممول الأكبر لدى الحكومة للمساعدات الخارجية في ثلاث سنوات إثر 11/9، فقد تضاعف ما قدمه ثلاثة أضعاف فبلغ أكثر من 21 بليون من الدولار، حيث صرف أكثر من نصف هذا المبلغ في العالم الإسلامي.[2]

بالطبع، إن هذا المبلغ الهائل لا يذهب جزؤه الأكبر بحال من الأحوال إلى قلب العالم الإسلامي مباشرة، وإنما إلى أطرافه حسب توصية لأحد خبراء الاستراتيجية ضمن هذا التقرير قائلة: "Look to the periphery. That's where change will come" "ركزوا على الأطراف – للعالم الإسلامي-. فمن هناك يأتي التغيير".[3] وفي هذا الصدد اكتشف سر تركيز أعمال الاستراتيجية الجديدة واهتمامها الأكبر بإندونيسيا، يقول التقرير المذكور: لم تظهر هذه الجهود في بلد من البلاد بصورة أكثر وضوحًا كما في إندونيسيا، أكبر الشعوب المسلمة تعداداً حيث يبلغ سكانها 240 مليون نسمة. على الرغم من أنها كانت حصنا للإسلام الوسط، فقد تولدت في حضنها عدد من الجماعات الراديكالية بما فيها الجماعة الإسلامية المنبثقة من القاعدة، والمسؤولة عن انفجارات بالي عام 2002 التي أسفرت عن مقتل 202 من الناس. ففي هذا البلد تعمل USAID الآن وراء الستار بتمويل أكثر من 30 منظمة إسلامية. كان من بين البرامج: إنشاء وسائل الإعلام، ورشات عمل

---

[1] مذكور في التقرير.

[2] مذكور كذلك في التقرير.

[3] "Many of the shock troops for America's new war of ideas are coming not from the CIA, nor from the State Department, but from the low-profile U.S. Agency for International Development [USAID]. In the three years since 9/11, spending by the government's top purveyor of foreign aid has nearly tripled to over $21 billion, and more than half of that is now destined for the Muslim world". David E. Kaplan, *Op.cit.*

للدعاة المسلمين، وتطوير المناهج الدراسية للمدارس من المعاهد القروية حتى الجامعات الإسلامية. حديث عن الإسلام والتسامح ينشر عبر محطات الراديو في 40 مدينة، ومقال أسبوعي يبعث إلى أكثر من مائة جريدة. وكذلك في قائمة المنح: المراكز الإسلامية للبحث والفكر والتي تعزز البحث العلمي الهادف أساسا إلى إبراز تناسب وانسجام الإسلام الليبرالي مع الديموقراطية والحقوق الإنسانية.[1]

كما أنه لا يتم توزيع هذا المبلغ كذلك إلا على الفرقاء العملاء تحقيقًا لسياسة "فرِّق تسُد" (divide and conquer).[2] فهذه كلها تذكرنا باستراتيجية قديمة رسمها واستخدمها الغرب في حرب الإسلام واحتلال العالم الإسلامي في الماضي.

والذي يهمنا أن هذا التقرير قد أفادنا بمعلومات في غاية الأهمية والخطورة عن استراتيجية جديدة للسيطرة على العالم الإسلامي، ومحورها السعي لكسب "حرب الأفكار" أو الغزو الفكري عن طريق إخضاع القلوب والعقول (to win the hearts and minds) بدعم مالي وسياسي – بل وعسكري إن اقتضى الأمر ذلك – غير محدود، في الوقت الذي تم فيه تجميد وإيقاف – بل وتحريم – أيِّ دعم مالي من دول الخليج الغنية لأخواتها الفقيرة. كما أفادنا التقرير نفسه بمعلومات مهمة عن اشتراك عدد من الخبراء من كبار المسؤولين في إدارة الرئيس بوش في وضع هذه الاستراتيجية وتصميمها، بمن فيهم كوندوليزا رايس (Condoleezza Rice) وزيرة خارجية، وكولين بويل (Colin Powell)

[1] "In no country is the effort more pronounced than Indonesia, the world's largest Muslim nation, with 240 million people. A bastion of moderate Islam, the nation has nevertheless given birth to several radical Islamic groups that include al Qaeda offshoot Jemaah Islamiyah, responsible for the 2002 Bali bombings that killed 202. Working behind the scenes, USAID now helps fund over 30 Muslim organizations in the country. Among the programs: media production, workshops for Islamic preachers, and curriculum reform for schools from rural academies to Islamic universities. One talk show on Islam and tolerance is relayed to radio stations in 40 cities and sends a weekly column to over a hundred newspapers. Also on the grants list: Islamic think tanks that are fostering a body of scholarly research showing liberal Islam's compatibility with democracy and human rights", David E. Kaplan, *op.cit.*

[2] المصدر نفسه.

الذي كان يتولى الوزارة ذاتها قبلها، وبول ولفويتز (Paul Wolfowitz) المسؤول الثاني في البينتاغون، وزينو باران (Zeyno Baran) مستشارة الشؤون الإستراتيجية، وكارين هيوغس (Karen Hughes) السكرتيرة الثانية في وزارة الخارجية للدبلوماسية والشئون العامة.[1] وهذه الأخيرة كانت هي المسؤولة عن تنفيذ الإستراتيجية وتفعيلها في الميدان. كل ذلك يصور ويرسم لنا خريطة واضحة لحقيقة تلك الاستراتيجية الجديدة، بما يفيدنا حق الإفادة في تناول الموضوع بالدراسة والتحليل.

وقد تبين واضحًا من خلال النظر الثاقب في برامج ما يسمى بتيار الإسلام الليبرالي حليف الغرب الوفي وتنفيذها في الواقع الفعلي، وكذلك من المتابعة والملاحظة الواعية للتقارير التي أدلت بها هيوغس في المناسبات المختلفة، أن هذه البرامج المتنوعة المتشعبة في الحقيقة تترامى أطرافها في اعتبار أهمية وضرورة الحوار بين أصحاب الأديان والتقاليد المختلفة، سواء كان مباشرًا أو غير مباشر، وخاصة حوار أمريكا مع غيرها من شعوب العالم. ففي حوارها مع إذاعة الحُرَّة لأوروبا (Radio Free Europe/Radio Liberty)،[2] مثلاً، قالت هيوغس في وصف مهمتها: "أركز على حوار أمريكا مع العالم. وأقول "الحوار" لأني أعتقد أن العالم أحيانا يعتقد بأننا نخاطبهم أكثر من أن نستمع إليهم. لذا حاولنا أن نركز أكثر على الاستماع والاشتغال في الحوار".[3]

ثم أخذت توضح استراتيجيتها ذات الأبعاد الثلاثة في كسب الحرب على الإرهاب واستمالة العقول والقلوب وإخضاعها، وتشجيعه عقد الحوار بين الأديان، قائلة: وهناك ثلاثة أهداف استراتيجية لما أهتم به، وما أطلب دائماً من موظفي الاهتمام به، من مساعي الديبلوماسية العامة.... الأمر الاستراتيجي الثاني هو العمل الدؤوب لتهميش

---

[1] المصدر نفسه.

[2] انظر النص الكامل لهذا الحوار في موقع الإنترنيت التالي:

http://www.rferl.org/featuresarticle/2006/06/b37ec268-416a-4591-abb3-f559920b3411.html

[3] "I'm focusing on America's conversation with the world. And I say "conversation" because I think sometimes the world thinks we speak at them, rather than listening to them. So I've tried to focus a great deal on listening and engaging in dialogue", Opcit.

المتطرفين القساة والقضاء على محاولاتهم لفرض أيديولجيتهم واستبدادهم علينا جميعا. **ولذا نعمل جاهدين لتشجيع الحوار بين الأديان**، للكلام عن الحقيقة التي نعتقد بأن الناس من كل الأديان يشتركون في معتقدات معينة – بقيمة الحياة الإنسانية، مثلا[1].

ثم استطردت قائلة: "وأعتقد أنه مهم **أن نسعى لتعزيز الحوار بين الأديان** وأن هذا هو الذي كان الرئيس بوش أوصاني به حينما تسلمت هذه الوظيفة. فقال [لي]: لتلتقي بالزعماء الدينيين، ولتشجِّعي الحوارات فيما بينهم، وقد حضرت عددًا من الحوارات بين الأديان"[2].

وفي حالة عدم توفِّر الفرصة السانحة للحوار المباشر كانت وسائل الإعلام هي الأمضى والأضمن في إيصال الرسالة المطلوب إلى الجماهير حيث يمكن أن تمثل وسيلة لحوار غير مباشر. وكان هذا الدَّور المهم هو الذي تتمنى هيوغس وتأمل (في إجابتها عن سؤال إذاعة الحُرَّة لأوروبا، فيما إذا كان هناك في رأيها دور يمكن أن تلعبه دُورُ الإذاعة والنشر الدولية في مجال الحوار)، أن تلعبه دمحطات الإذاعة ودور النشر الدولية من التلفيزيون والراديو[3].

وبذلك فقد تأكد بصورة أوضح ما كتبه كابلن في تقريره من معلومات في منتهى الأهمية تتعلق بتلك الإستراتيجية الجديدة. بل ازداد ما جاء في ذلك التقرير تأكيدًا ببحوث وتقارير لاحقة أعدتها ونشرتها مراكز البحوث الأمريكية المعتمدة مثل RAND وUSIP وCSIS وغيرها[4]. كما تأكد بالتالي أن الحوار بين الأديان قد تم

---

[1] I have three strategic goals for the way I look at, the way I constantly ask my staff to look at, our public-diplomacy efforts…. A second strategic imperative is to work to isolate and marginalize the violent extremists and to undermine their efforts to impose their vision of ideology and tyranny on the rest of us. *And so we work very hard to encourage interfaith dialogue*, to talk about the fact that we think people of all faiths share certain beliefs - in the value of human life, for example" (emphasis added).

[2] And I think it is important that *we seek to foster interfaith dialogue* and that's one of the things that President Bush asked me when I took this job. He said, "meet with religious leaders, foster conversations among religious leaders." I've attended a number of interfaith conferences", (emphasis added).

[3] انظر المصدر نفسه.

[4] راجع على سبيل المثال:

استغلاله استغلالاً فاحشًا لمحاربة الأديان عمومًا، والإسلام على وجه الخصوص. وهذه الإستراتيجية وإن كانت تصميمًا أمريكيًّا بدرجة أولى إلا أنها أمَّن عليها وقلدها ويعمل على تنفيذها معظم دول الغرب بدرجات متفاوتة، مما يبرهن على صحة ووجاهة أطروحة "هجوم 'شبه الأديان' على "الأديان التقليدية" كما طرحها تيليخ سابقا. فلم يكن الحوار في هذا السياق لغرض "التفاهم" بين أطراف الحوار المتكافئة المتعادلة كما هو المرجو والمطلوب والمعلن في كل محافله ومؤتمراته وندواته ولقاءاته، وإنما لغرض "التفهيم" أو "الإفهام" وفرض الهيمنة الأيديولوجية لقوى معينة، يعني العلمانية، من قِبل الطرف السائد القوي الغالب على الطرف المنهزم الضعيف المغلوب. و"المغلوب"، كما يقول ابن خلدون، "مولع دائماً بالاقتداء بالغالب."[1]

وهنا، قد يتساءل المرء: أليس الدعم الخارجي المذكور أعلاه إنما كان لدعم البرامج والأنشطة الدينية، من بناء المساجد والمدارس الإسلامية وتطوير مناهجها الدراسية وتدريب أساتذتها وإنشاء محطة التلفاز الإسلامية وما إلى ذلك؟ نعم ذلك ما يبدو وبادئ النظر، ولعل الأنسب والأحق بالإجابة عن هذا التساؤل أولئك الذين خططوا وصمموا تلك الإستراتيجية. فحسب ما جاء في تقرير كابلن، إن هذا الأمر قد كان مثار جدل فيما بينهم فعلاً، ذلك لأن القانون الأمريكي يقضي بضرورة عدم تدخل الدولة في الأمور الدينية على الإطلاق. ولكنهم في النهاية اقتنعوا بأن ما قاموا به لا يزالون يقومون به من دعم البرامج والأنشطة التي يبدو في الظاهر أنها دينية، هو في الحقيقة لا يراد به إلا تحقيق "هدف علماني"[2].

Angel Rabasa *et al.*, *Building Moderate Muslim Networks* (Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2007); Angel Rabasa, *Radical Islam in East Africa* (Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2009), pp. 37, 39; David smock and Qamar-ul Huda, "Islamic Peacemaking Since 9/11" (Special Report), (Washington DC: USIP, 2009).

[1] ابن خلدون، **مقدمة**، تحقيق حجر عاصي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1983)، ص101.

[2] انظر: تقرير كابلن السابق.

وقد تحقق هذا الهدف فعلاً، ووجد ترجمته في أرض الواقع حيث ينادي هؤلاء "المفكرون المسلمون الليبراليون" في كل أقطار العالم الإسلامي وفي الغرب بالعلمانية ويدافعون عنها ويروجونها ويبررونها تبريرًا إسلاميًّا بأنها ليست فقط لا تتعارض مع الإسلام بل "إن الإسلام هو الدين العلماني بامتياز" على حد قول نصر حامد أبو زيد،[1] فهو يأمر المسلمين بضرورة عَلمَنة حياتهم على حد زعم نور خالص ماجد، أحد رواد الفكر الإسلامي الليبرالي بإندونيسيا.[2] وخلاصة القول غدا هؤلاء " المفكرون المسلمون الليبراليون" وكلاء أو عملاء الغرب، أو لاستعارة ما اصطلح عليه كابلن بـ "local hires" (مستأجَرين محليين)،[3] في تنفيذ تلكم الإستراتيجية في بلدانهم.

نحو حل الملل أو القضاء عليها؟

لذلك فالسؤال الذي لا بد من مواجهته الآن هو: هل الحوار حل؟ ما الأطراف المتباينة التي ترتبطها مصالح مشتركة، حتى يتسنى لكل طرف فهم سلوك الطرف الآخر وتصرفاته في سعيه إلى تحقيق أهدافه.[4] ولكن نجاح أي حوار، والحوار بين الأديان بصفة خاصة، في أن يؤتي ثماره الإيجابية، إنما يتوقف أساسًا على مدى صدق الغرض

---

[1] نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط4، 2003)، ص37.

[2] انظر تفاصيل رأيه بضرورة العلمنة (secularization) في الإسلام في كتاباته الكثيرة، ومن أهمها:
Nurcholish Madjid, *Islam Kemodernan dan Keindonesiaan* (Bandung: Mizan, 4th ed, 1991).
في الحقيقة، هذه الفكرة اقتبسه نور خالص ماجد، بدون حق واعتراف لازم، وبعد شيء من التعديل المناسب، من العالم اللاهوتي الأمريكي (Harvey Cox) في كتابه الشهير والمثير للجدل والرد المعنون: *The Secular City* (المدينة العلمانية). انظر:
Harvey Cox, *Secular City: Secularization and Urbanization in Theological Perspective* (New York: The Macmillan Company, [1965] Revised edition 1967).

[3] David E. Kaplan, op. cit.

[4] "Dialogue by definition is a conversation, a process of communication through speech. It is a reciprocal relationship in which two or more parties endeavor both to express accurately what they mean and to listen to and to respect what the other person says, however different her or his perspective may be". See Charles Kimball, *Striving Together, A Way Forward in Christian-Muslim Relations* (New York: Orbis Books, 1991), p. 86.

وإخلاص النية والالتزام بشروط الحوار وأسسه وضوابطه وآدابه الصحيحة اللازمة من قِبَل المتحاورين بعضهم البعض، ثم على مدى التزامهم كذلك باتباع أنبل الوسائل والطرق وأوضح المسالك ومكارم الأخلاق في تحقيق أهدافهم.

غير أن الملاحظ من واقع الحوارات الدينية بصورة واضحة، كما ناقشنا آنفًا، أن معظمها كان للأسف الشديد على خلاف المطلوب وما ينبغي أن يكون عليه الحوار. فقد يسعى إليه غالب رجال الكنائس المسيحية من أجل التبشير والتنصير، أو العلمانية إن لم يتيسر التنصير، بينما قد خطط أصحاب "شبه الأديان" للحوار ضمن استراتيجية أكبر وأوسع لتحقيق هدف أكثر شناعة مما قبله وهو محو ذاتية الإنسان الدينية التقليدية أو تشجيع "الانسلاخ الديني" (religious detachment) أو "اللامبالاة الدينية" (religious indifference). ذلك الهدف الذي يؤدي في النهاية إلى نتيجة حتمية وخيمة هي القضاء على الأديان "التقليدية" (religions proper) كلها لتحل محلها "شبه الأديان" (quasi-religions). إذن، فهذه مؤامرة عظيمة منظمة تجرى على نطاق دولي للقضاء على "الأديان التقليدية" كلها تتستّر وراء قناع القِيم الديموقراطية البراقة من المساواة والحرية والتعددية والتسامح والتعايش السلمي والاحترام المتبادل وما إلى ذلك. وهذه الحقيقة واضحة جلية لا يغفل عنها إلا جاهل أو متجاهل. إن كل من له أدنى إدراك لتطور هذه الاستراتيجية الجديدة وأهدافها وأساليبها ووسائل تنفيذها وتفعيلها في أرض الواقع يدرك حتمًا مدى وضوح هذه المؤامرة وكبر حجمها. فهناك مؤشرات واضحة تدل على ذلك مما يمكن استخلاصه من كتاباتهم وتصريحاتهم وقراراتهم السياسية على أكثر من صعيد. وفيما يخص الدراسات والكتابات الأكاديمية حول الأديان والحوارات الدينية، فالتوجه الأساسي أو النزعة السائدة هو التركيز الشديد على الجوانب والعناصر المشتركة أو المتشابهة بين الأديان وحْدها دون التعرض لأوجه الاختلاف الأساسية القائمة بينها. بل صار هناك نوع من الإجماع شبه الرسمي

على "تحريم" التعرض لهذه الاختلافات الذاتية بين الأديان والتوغل فيها في هذين المجالين، أي الدراسات العلمية للأديان[1] والحوار الديني، خاصة. وقد كان من البديهيات أن ما به الاتفاق غير ما به الاختلاف والتمييز، فذاتية الشيء إنما تحددها خصائصها ومميزاتها التي يمتاز بها عن غيره من الأشياء والتي بدونها لا وجود له ولا ذكر. وهكذا ذاتية الأديان وهويتها. وإذا ثبت هذا، أفليس من الوجيه أن نخلص إلى القول بأن هذه الإستراتيجية الجديدة فيها ما فيها من أغراض خفية مستورة، وأن نتساءل بالتالي عن الغرض الحقيقي الذي يثوي وراءها؟

جدير بالذكر هنا أن الأستاذ ميكائيل باي Michael Pye (من جامعة ماربرغ، الرئيس السابق للاتحاد العالمي لتاريخ الأديان IAHR)، قد صرح في إحدى مقالاته بأن دراسة الأديان والحوار الديني إنما ينحوان في آخر المطاف نحو هدف واحد مشترك بينهما هو تحقيق التعددية الدينية (Religious Pluralism) في المجتمع. وقد بيَّنا في كتابنا **التعددية الدينية: رؤية إسلامية** بما فيه الكفاية من الحجج والشواهد أن من النتائج لهذه الفكرة القضاء على الأديان، مما يغنينا عن إعادة ذكر تفاصيله هنا.[2] ذلك أن التعددية الدينية باختصار شديد تقتضي ضرورة اختزال الأديان كلها حتى تتجرد من خصائصها ومميزاتها الذاتية، ويتخلى بالتالي كل دين عن دعواه بالأحقية المطلقة (absolute truth-claim) وعن وظائفه الاجتماعية ليتولاها ويتعهدها عوضاً عنه نظام آخر لا ديني. وعندها لا يبقى من

---

[1] بل لم يتوقف الأمر عند حد عدم جواز التعرض للاختلافات فقط، وإنما يتعدى إلى ضرورة ترك إصدار أي حكم على دين من الأديان تحت الدراسة، أو ما يسمونه بـ"disengagement" من أجل الحفاظ على موضوعية الدراسة والبحث. وقد قام الباحث بدراسة وتحليل هذا الموضوع الشيق في مقالة بعنوان: *Religionswissenschaft* Between the Objectivity and Subjectivity of Its Practitioners، والتي قدمها في المؤتمر العالمي: *Plurality and Representation: Religion in Education, Culture and Society* الذي عقده الاتحاد الأوربي لدراسة الأديان (EASR) بالاشتراك مع الاتحاد الألماني لدراسة الأديان (DVRW) بجامعة بريمن، ألمانيا، من 23-27 سبتمبر 2007.

[2] انظر التفاصيل في: طه، **التعددية الدينية**، ص174-189.

الأديان كلها، إلا أسماء فارغة لا تعبر عن أية ذاتية أو هوية، ولو فرض بقاؤها فهي ليست أكثر من عناصر نسبية متشابهة. وهذا عمليًّا هو انهيار فكرة القناعة الدينية. فالنسبية في باب الإيمان إنما هي في وقت نفسه انعدام الإيمان، وهكذا يتم القضاء على الأديان.

ولعل من أكبر وأفصح ما يؤكد صحة ما قدمناه أكثر ما لاحظه كابلن أيضًا فيما يحصل للإسلام في تقريره السابق، حيث عبر عن ذلك بوضاح فقال: بعبارة لا غبار فيها: "في جبهة خفية في الحرب على الإرهاب، أنفقت أمريكا ملايين... من أجل تغيير وجه الإسلام بالذات"[1]. فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يبقى من الإسلام شيء بعد تغيير وجهه؟ بالتأكيد، إنه لن يبقى منه إلا الاسم فقط. ذلك لأنه قد صار شيئا آخر غريباً عن ذاتيته وهويته الأصلية، فلم يعُد له صلة شرعية بها. وهو الإسلام الذي يمكن أن نسميه بـ"الإسلام الاختزالي" (Reductionist Islam) أو "الإسلام الهجين" (Hybrid Islam) أو "الإسلام العلماني" (Secular Islam) أو ما يحبذون أن يسموه به "الإسلام الليبرالي" (Liberal Islam).

ومن هنا، فليس من المبالغة ولا مجافاة الحق أن نقرر أن الحوار الديني أو الإيماني من حيث الفكرة والتطبيق هو في الحقيقة يضيف مشكلة جديدة في علاقات الأديان بعضها ببعض، بدلاً من أن يقدم حلاً شافيًا للمشكلات التي تواجه أتباعها بعضهم ببعض، وليس الزعم بإحلال السلام بين الأمم محل النزاع والصراع سوى غطاء لإخفاء الغرض الحقيقي لتمييع الأديان وتذويبها كما بينا. وعلى هذا فقد أصبح من الضروري جدًّا أن يوضع للحوار منهج وضوابط قويمة وفق الأصول المنطقية السليمة الرصينة لكي تكون دليلاً عامًّا لمن يريد أن يحقق الحوار غاياته النبيلة حتى لا تعبث به يد قوى العبث. وهذا لا يعني ألبتة تجاهل ما قد وضعه بعض الجهات المعنية بالحوار من دليل، كما فعل الفاتيكان والكنائس المسيحية الأخرى هذا الدليل. غير أن من له

[1] "In an Unseen Front in the War on Terrorism, America is Spending Millions...To Change the Very Face of Islam"David E. Kaplan, op. cit.

الفرصة للاطلاع عليه يدرك حتمًا أن ذلك إنما وضع من أجل تحقيق مصالح الكنائس الخاصة ورسالتها التنصيرية التبشيرية[1]، فلا يسمن –إذن– ولا يغني من جوع. فتبقى الحاجة إلى مثل ذلك الدليل العام قائمة وماسة.

ولعل ما اقترحه في هذا الصدد إسماعيل راجي الفاروقي رحمه الله، أحد المفكرين المهتمين بقضية الحوار والمؤمنين بضرورته والمشاركين النشطين في ندواته ومؤتمراته، جدير بالالتفات إليه والاستفادة منه إذا ما أريد للحوار أن يؤدي دوره الهام ورسالته النبيلة ولا يكونَ مجالا لبيع وشراء العقيدة. وانطلاقًا من الإيمان بضرورة الحوار وبرسالته النبيلة، وهي التي أدناها بناء التفاهم بين مجتمع الأديان وأعلاها إقامة الحق وإذعان الناس جميعًا له، قدم الفاروقي ستة أسس عقلية منطقية لمنهج الحوار ضمانًا لإصابته الهدف المنشود وعدم صيرورته وسيلة للدعاية وغسل الأدمغة والتمويه أو شراء الأرواح.

وأول تلك الأسس أن لا يتم أي اتصال حواري بأمر صادر من السلطة (ex cathedra)، خارج عن النقد، أما الأساس الثاني فهو أن لا يتعارض الاتصال الحواري مع قوانين المنطق الرصين، التناسق الداخلي، والأساس الثالث أن لا يتعارض الاتصال الحواري مع قوانين التناسق الخارجي، والأساس الرابع أن لا يتعارض الاتصال الحواري مع قانون الموافقة مع الواقع. وأما الأساس الخامس فيفترض الحوار حرية الموقف إزاء المقررات الدينية الرسمية، والسادس في الحالات التي كان عليها المسلمون والمسيحيون اليوم، فالأولوية تكون للقضايا الأخلاقية، لا اللاهوتية[2].

ومن الملاحظ أن اهتمام الفاروقي البالغ بقضية الأسس المنهجية للحوار بين الأديان قد ظهر واضحاً مذ شرع في تأليف كتابه المعنون: *Christian Ethics: A*

---

[1] See: http://www.ccc-cce.ca/english/downloads/DenominationalMaterials.pdf (retrieved on February 2, 2008).

[2] انظر التفاصيل في:

al-Faruqi, Ismail Raji, *Islam and Other Faiths,* edited by Ataullah Siddiqui (Herndon: The Islamic Foundation and International Institute of Islamic Thought, 1998), pp. 250-256.

History and Systematic Analysis of Its Dominant Ideas (الأخلاق المسيحية: تاريخ وتحليل منهجي لمُثلها العليا السائدة) في بداية الستينيات من القرن العشرين، حيث نوه في مقدمة هذا الكتاب بضرورة الأخذ في الاعتبار بقوانين المنطق الرصين، يعني التناسق الداخلي والتناسق الخارجي والموافقة مع الواقع، في تناول دين من الأديان بالدراسة والبحث والتقييم.[1] وهذه القوانين – كما يتضح رأينا بجلاء – هي عين ما أكده الفاروقي في الأسس المنهجية للحوار الآنفة الذكر. ولا غرابة في ذلك، إذ إن هذا الكتاب ذاته إنما ألفه الفاروقي كمقدمة منهجية للحوار مع المسيحية تجسيدا عمليا لتلك الأسس والضوابط. فالدراسة العلمية الرصينة للأديان بوجه عام، والديانة التي يراد بالحوار عنها بوجه خاص، على ما يبدو من الإطار المنطقي الذي وضعه الفاروقي هي الخطوة الأولى الأساسية التي لابد أن يتخذها المرء قبل أن يجيز نفسه الدخول في مائدة الحوار. ذلك لأن الحوار، على حد تعبيره، هو عبارة عن التربية والتعليم في أوسع معناهما وأنبله، فهو يقول: "إنه تحقيق لأمر الحقيقة كي تكون معروفة، حتى تُقارَن مع الدعاوى الأخرى، فتُقبَل إن كانت صحيحة، وتُعدَّل إن كانت قاصرة غير كافية، وتُرفَض إن كانت زائفة. فالحوار هو إزالة العوائق لتتداول الأفكار بين الناس بحرية في جوٍّ تكون القاعدة الحاكمة المطلقة فيه هو **ترك الدعوى الأقوم والأقرب إلى الحق فائزا**"[2].

فلذلك كان الحوار الديني هو الطريق لكشف كل الحقائق الدينية الصحيحة التي لا تناقض فيها، داخليًّا كان أم خارجيًّا، في دين من الأديان التي يجري الحوار بشأنها بين أتباعها. فلا يسع الفاروقي، حينئذ، إلا أن يعترف بأن الحوار الديني لا بد أن يفضي في نهاية المطاف إلى ضرورة تحويل (conversion). غير أنه سرعان ما يستدرك بشأن مثل

---

[1] al-Fārūqī, Ismā'īl R., *Christian Ethics: A History and Systematic Analysis of Its Dominant Ideas* (Montreal: McGill University Press, 1967), pp. 11-14

[2] "It is the fulfillment of the command of reality to become known, to be compared and contrasted with other claims, to be acquiesced in if true, amended if inadequate, and rejected if false. Dialogue is the removal of all barriers between men for a free intercourse of ideas where the categorical imperative is *to let the sounder claim to the truth win".* al-Fārūqī, *Islam and Other Faiths*, p. 248. (emphasis added)

هذه النتيجة المحتملة بقوله: "... ليس [تحويل] إلى ديني وثقافتي وأعرافي ونظامي السياسي، أو دينك وثقافتك وأعرافك ونظامك السياسي، أو دينه وثقافته وأعرافه ونظامه السياسي، وإنما إلى **الحق**. إن التحويل الممقوت عند الإسلام والمسيحية هو الذي تم بإكراه، أو شراء، أو خداع عن غير وعي الشخص المطلوب. فالتحويل بوصفه اقتناعًا بالحق ليس فقط أمراً جائزاً بل أمر إلزامي – حقًّا، إنه البديل الوحيد الذي ينسجم مع سلامة العقل والجدية والكرامة"[1].

والنقطة الرئيسية فيما قاله الفاروقي هنا هى أن الحوار بين الأديان ينبغي أن يكون أحد الطرق ليتفاهم كلٌّ من مجتمع من مجتمعات الديانات المختلفة معتقدات الآخر، ويمكن بعد ذلك أن يتعلم مما كان صحيحًا وحقًّا في الديانات الأخرى فيأخذ به طوعيةً واختياراً دون إكراه. وهذا الوضع إنما يمكن تحقيقه فقط عندما تكون كل أطراف الحوار متكافئة تمامًا، لا أن يكون أحدها "مضيفًا" (host) والآخر "ضيوفًا مدعوين" (invited guests)[2].

وقد سأل الفاروقي الطرف المسيحي خاصة عمّا إذا كان بإمكانهم قبول هذا الاقتراح الذي جاء من الطرف الآخر، وهو بأن يؤسسوا حوارهم مع أهل الأديان الأخرى على أسس عقلية منطقية رصينة صرفة، حتى يكون هذا الحوار الديني فعلاً طريقة لانكشاف الحق ولبناء الأخوة العالمية الحقيقية، وبالتالي حتى تكون كلمة الله وإرادته، لا كلمة رجال الدين منهم وإرادتهم، هي الحق والعليا.[3] ونفس السؤال والاقتراح يمكن أن نوجهه كذلك إلى رجال السياسة من أساطين العولمة التي تتحكم في مسيرة البلاد والعباد وصيرورتهم – بما فيها الدين – بالفعل في العصر الحديث، حتى لقد قال أحد كبار الباحثين الألمانيين، يوسف فان إس (Joseph van Ess): "وأما المسيحية فيمكن أن نقول بأنها قد غيرت علاقتها مع

[1] "…not to my, your or his religion, culture, mores or political regime, but to *the* truth. The conversion that is hateful to Islam and Christianity is a conversion forced, bought or cheated out of its unconscious subject. Conversion as conviction of the truth is not only legitimate but obligatory – indeed, the only alternative consistent with sanity, seriousness and dignity". Ismā'īl R. al-Fārūqī, *Op. Cit*, p 249.

[2] al-Fārūqī, (ed.), *Trialogue of the Abrahamic Faiths*, p. x.

[3] al-Fārūqī, *Christian Ethics*, p. 35.

اليهودية [نحو الأحسن] بشكل ملحوظ للغاية. وهذا التغيير، مع ذلك، إنما كان بمبادرة ليست من اللاهوت بل من الأحداث التاريخية والسياسية"[1].

من هنا ندرك مدى قوة دور السلطات السياسية المعاصرة وتَحكُّمها في تحديد العلاقات بين الأديان. فاشتغالها المباشر في عقد الحوار الديني ومؤتمراته وندواته كان مظنة لسوء الاستخدام والاستغلال، بل ذلك هو الحاصل فعلاً في كثير من الأحيان. فلا بد للحوار الديني إذن من وجود أسس وشروط وضوابط واضحة المعالم، على نحو ما اقترحه الفاروقي آنفًا، تكون بمثابة المرجعية والسلطة الملزمة للجميع. وأحسب أن الحوار الديني بهذه الأسس والشروط والضوابط المقترحة هو الوحيد الذي يتفق وكرامة الإنسان وقداسة الدين معًا، فيكون بذلك هو الوحيد الذي يمكن أن يخدم السلام الحقيقي للبشر جميعا.

خاتمة: التفاهم والاحترام مع حفظ هوية العقيدة

إن ما قررناه قبل قليل هو نفسه – فيما نحسب – الموقف الذي يقره الإسلام إزاء ظاهرة تعدد الأديان، وهو الموقف الذي يعتبر طبيعيا وواقعيا للغاية، إذ إننا إذا نظرنا إلى التجربة البشرية في تاريخ العمران البشري منذ لحظات تشكله الأولى حتى اليوم، بل حتى يوم القيامة، إنما هي تجربة لا تخلو يوما ما من تصارع القوى المتنافسة في احتلال تلك المرجعية أو السلطة. وقد يبدو لأول وهلة أن نظريات التعددية الدينية الحديثة، بناء على ما تقرر عندها من عقيدة المساواة أو تساوي الأديان، محايدة وغير منحازة في قضية المرجعية هذه، من حيث إنها لا تفضل دينًا على دين، بل لا تسمح لأي دين أن يسود دينًا آخر. ولكنها بهذا الموقف "المحايد" –أو بتعبير أصح: العلماني – تجاه الدين، في حقيقة أمرها،

[1] "As for Christianity, we can say that it has most notably changed [better] its relation to Judaism. This change, though, was initiated not by theology but by historical and political events". Joseph van Ess, "Muhammad and the Qur'an: Prophecy and Revelation," in Küng, *et al.*, *op. cit.*, p. 6.

كما بينا في مكان آخر[1]، قد استغلت الأديان كلها أسوأ استغلال لخدمة السيادة والهيمنة العلمانية، عن طريق تجريدها من مميزاتها وخصوصياتها وحريتها وصلاحيتها للمرجعية ليكون النظام العلماني وحده سائدًا ومرجعًا. وهذا على عكس ما يراه الإسلام في أنه حينما أخذ بيده السلطة والمرجعية العليا، ترك الأديان على حريتها لأن تعبر عن ذاتيتها وهويتها وأن تقول كل ما تريد أن تقوله وأن تمتلك مقومات الديمومة والبقاء والامتداد، دون أن يحاول القضاء على تمايزها عن الإسلام.

إن من شأن محاولة كهذه أن تفضي بالضرورة إما إلى إنكار الآخر، وإما إلى إنكار الذات وكلا الأمرين يهدمان كرامةالإنسان وأصالته؛ بل فوق ذلك إنهما منافيان ومناقضان للإرادة الإلهيـــة الكونية ذاتها في خلق الكون عامة على سنة التنوع والتعدد وفي خلق البشر عامة وجعلهم شعوبا وقبائل وأمماً مختلفين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (هود: 118-119)، وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (المائدة: 48)، ففي ذلك حِكَم بالغة وغايات سامية وراء هذا الاختلاف والتعدد والتمايز. فهو الحافز للتنافس في الخيرات، والاستباق في الطيبات، والتدافع الذي يقوّم ويرشّد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء. وهو المصدر والباعث على حيوية الإبداع الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصية بين الحضارات[2].

فما أكثر ما يتساءل الناس عن الحكمة من وراء التقاتل وسفك الدماء، وما أكثر ما تخيل المفكرون والفلاسفة عالمًا هادئًا لا يشهد قتالاً ولا تسفك في ساحاته الدماء،

---

[1] انظر كتابنا السابق الذكر.

[2] عمارة، محمد، "التعددية.. الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية"، **الجامعة الإسلامية**، العدد الثاني، السنة الأولى (نيسان- حزيران 1994م/شوال- ذو الحجة 1414هـ)، ص70-71؛ وانظر أيضًا: خليل، عماد الدين، "الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين"، **إسلامية المعرفة**، السنة الثانية، العدد الخامس (صفر 1417هـ/يولية 1996م)، ص60-62.

ولكن - كما يقول بعض المفكرين - هيهات، ما دامت المسألة مرتبطة في جذورها بالوجود البشري المتغاير المتنوع. وما يزال الصراع أمرًا لا مفر منه إذا ما أريد للحياة الإنسانية أن تتحرك وتتقدم وتتجاوز مواقع السكون والركود والفساد،[1] لكي تصل إلى الموقف الأكثر إيجابية الذي يجعل هذا التغاير والاختلاف سببًا لعلاقات إنسانية متبادلة بين الأمم والأقوام والشعوب تسعى للتقارب والتعاون والتعارف، مع بقاء كل منها على هويته، يعني مذهبه وجنسه ولونه ولغته وبيئته الجغرافية.[2]

وإذا كان ذلك هو الحكمة والغاية في الاختلاف والتنوع والتعدد، فإن الذي نحتاج إليه في هذا المضمار ليس الحوار الذي يفضي إلى نظام يلغي الاختلاف، وإنما هو الحوار الذي له القدرة والإرادة الإيجابية لتقييم الاختلاف وإدارته في حدوده المعقولة، حتى يتحقق التعدد والتنوع بمعناه الحقيقي، فيكون إغناءً للتجربة الثقافية والحضارية للإنسانية.

المراجع: References:

Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid, *Naqd al-Khiṭāb al-Dīnī* (Cairo: Maktabah Madbūlī, 4th ed., 2003).

al-Fārūqī, Ismā'īl Rājī, *Christian Ethics: A History and Systematic Analysis of Its Dominant Ideas* (Montreal: McGill University Press, 1967).

al-Fārūqī, Ismā'īl Rājī, *Islam and Other Faiths,* edited by Ataullah Siddiqui (Herndon: The Islamic Foundation and International Institute of Islamic Thought, 1998).

al-Fārūqī, Ismā'īl R. ed., *Trialogue of the Abrahamic Faiths*, (Herndon: IIIT, 1991).

Billington, Ray, *Religion without God*, (London, New York: Routledge, 2002).

---

[1] قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216).

[2] قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

Cox, Harvey, *Secular City: Secularization and Urbanization in Theological Perspective* (New York: The Macmillan Company, [1965] Revised edition 1967).

Huntington, Samuel P., *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: A Touchstone Book, [1996] 1997).

Ibn Khaldūn, *Muqaddimah*, edited by Ḥajar ʻĀṣī (Beirut: Dār wa Maktabah al-Hilāl, 1983).

Kaplan, David E., "Hearts, Minds, and Dollars: In an Unseen Front in the War on Terrorism, America is Spending Millions...To Change the Very Face of Islam", in www.usnews.com, 25 April 2005.

Khalīl, ʻImād al-Dīn, "Al-Waḥdah wa al-Tanawwuʻ fī Tārīkh al-Muslimīn," in *Islāmiyyat al-Maʻrifah*, Vol. 2, No. 5 (Ṣafar 1417H./July 1996M.).

Kimball, Charles, *Striving Together, A Way Forward in Christian-Muslim Relations* (New York: Orbis Books, 1991).

Kimball, Charles, *When Religion Becomes Evil: Five Warning Signs* (New York: Harper SanFrancisco, 2002).

King, Winston L., 'Religion', in Mircea Eliade, (ed.), *The Encyclopedia of Religion* (New York: Macmillan Publishing Company, 1987), Vol. 12

Küng, Hans *et al.*, *Christianity and World Religions: Path to Dialogue with Islam, Hinduism, and Buddhism*, translated into English by Peter Heinegg (New York: Orbit Books, [1985] 1996).

Madjid, Nurcholish, *Islam Kemodernan dan Keindonesiaan* (Bandung: Mizan, 4th ed, 1991).

ʻAbd al-ʻAzīz, Zaynab, *Al-Fātīkān wa al-Islām*, (Cairo: Al-Quds li al-Nashr wa al-Iʻlām, 3rd ed., 2001M).

ʻAbd al-ʻAzīz, Zaynab, *Tanṣīr al-ʻĀlam, Munāqashah li-Khiṭāb al-Bābā Yūḥannā Būlis al-Thānī* (Al-Manṣūrah, Egypt: Dār al-Wafāʼ li al-Ṭibāʻah wa al-Nashr wa al-Tawzīʻ, 1415H/1995AD).

Nelson-Pallmeyer, Jack, *Is Religion Killing Us?: Violence in the Bible and the Qur'an* (New York, London: Continuum, [2003] Paperback edition 2005).

ʻImārah, Muḥammad, "Al-Taʻddudiyyah.. Al-Ruʼyah al-Islāmiyyah wa al-Taḥaddiyāt al-Gharbiyyah," in *al-Jāmiʻah al-Islāmiyyah*, No. 2, Vol. 1, (Nīsān - Ḥuzayrān 1994 M/Shawwāl –Dhū al-Ḥijjah 1414 H.).

Rabasa, Angel *et al.*, *Building Moderate Muslim Networks* (Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2007).

Rabasa, Angel, *Radical Islam in East Africa* (Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2009).

Smart, Ninian, *Dimensions of the Sacred: An Anatomy of the World's Beliefs* (London: Harper Collins, 1996).

Smith, John E., *Quasi-Religions: Humanism, Marxism and Nationalism.* (London: The Macmillan Press, 1994).

Smock, David and Huda, Qamar-ul, "Islamic Peacemaking Since 9/11" (Special Report), (Washington , DC: USIP, 2009).